من مدرسة القرآن العظيم

الشيخ عبد العزيز العلي

قصص : إن للقصص في القرآن العظيم فوائد علمية واجتماعية عظيمة تتماشى مع الزمن في التنبيه والارشاد إلى ما يرفع من شأن الانسانية في جميع عصورها .

ذو القرنين : وأبدأ الكتابة هنا بقصة ذي القرنين وما اشتملت عليه هـــذه القصة (فيما ظهر لي) من قوة في الايمان ، وتوفيق في الاكتشافات العلمية ، وتمكين في الأرض ، وعلم بجغرافيتها ، وحكمة في نشر الدعوة ، ونظام تعاوني في الدفاع والاقتصاد وغير ذلك .

قال تعالى في سورة الكهف الكريمة : « ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً * إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً * فأتبع سبباً » (٨٣ - ٨٥) .

ويظهر في هذه الآيات الكريمة الثلاث أن ذا القرنين عبد من عباد الله الصالحين ، أنعم الله عليه ومكن له في الأرض ، وآتاه من كل شيء سبباً يصل به إلى أسرار العلم ومكنوناته ، كما وهبه جل سبحانه من قوة الايمان والتفكير والطموح والحكم ما جعله يرى أن هـــذه الأسباب التي وفق إليها تحتاج إلى جد واجتهاد ، فسخر مواهبه تسخيراً استحق عليه بجدارة هذا النعت العظيم من الرب الكريم بقوله : « فأتبع سبباً * حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ، ووجد عندها قوماً ، قلنا : يا ذا القرنين ! إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً * قال : أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً * وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى ، وسنقول له من أمرنا يسرا » (٨٦ - ٨٨) .

ويظهر من هـــذه الآيات الكريمة أنه توفق في جده واجتهاده وإرادته المحاطة بالعناية الالهية إلى قوة علمية خارقة استطاع أن يصل بواسطتها إلى مغرب الشمس بسرعة فائقة ، فيجدها وهي في حالة الغروب عند قومه في حموءتها واستوائها عند قوم آخرين من ناحية قوة السرعة ، أما من ناحية قوة البطش فقد توصل إلى ما جعله جديراً بأن يكل الله له أمر

لتذيب القوم والإحسان إليهم ، فيختار لنشر الدعوة بالتيسير أولا ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حيّ عن بينة . ومن المعلوم أنه إذا كان وقت غروب الشمس في مصر مثلاً يكون وقت استوائها وحمرتها ظهراً في المحيط الأطلنطيكي ، ومن البديهي أن القوم لا يكونون فيه إلا على يابسة القارة أو الجزيرة .

الطاقة الذرية : ولقد تردد في بعض الاذاعات وبعض الصحف أن الطاقة الذرية كانت معروفة عند قدماء المصريين ، وأن رجلا منهم قضى على قارة بأكملها في الأطلنطي بالطاقة الذرية ، واسم هذه القارة (الأطلانتيدس) ، وأن أهل هذه القارة توصلوا إلى الاستفادة من أشعة الشمس مما جعلهم يطيرون في الفضاء إلى علو كبير ومسافات واسعة وبسرعة فائقة كما أن قوة البطش فيهم بلغت أشدها ، مما جعل العالم كله في خطر من علمهم إذا أساءوا استعماله ، وأن بعض القوم من سكان القارة الهالكة نجوا فهاجروا إلى مصر ولبنان ولم يسيئوا استعمال علمهم ولم يفشوه لمن قد يسيء استعماله .

بقية القوم : وليس ببعيد أن يكون ذلك الرجل هو ذو القرنين ، وأن القارة المقضى عليها هي اليابسة التي وجد عليها ذو القرنين القوم عند مغرب الشمس في الأطلنطي ، وأن القوة العلمية الخارقة التي خولته الوصول إلى مغرب الشمس بهذه السرعة العظيمة ومكنته من القضاء على القارة الظالم أهلها ، هي الطاقة الذرية ، وأن القوم الذين نجوا وهاجروا إلى مصر ولبنان تأثروا بدعوته وآمنوا به والله سبحانه أعلم .

« ثم أتبع سبباً * حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً * كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا » (٨٩ - ٩١) .

رحلات : ويظهر من هذه الآيات الكريمة أن ذا القرنين بعد أن أتم جولته في الجهة الغربية بنجاح عظيم على توفيق من الله ورضوان ، أتبع السبب مرة ثانية إلى الجهة الثانية ، وهي الجهة الشرقية ، حتى بلغ مطلع الشمس فوجدها تطلع فعلاً على قوم لم يجعل الله لهم من دونها ستراً كالستر الليلي الذي حجبها عن قومه في مصر مثلاً ، بينما هي طالعة على قوم في الشرق الأقصى قبل طلوعها على مصر ، والذي يظهر أنه إذا كانت رحلة ذي القرنين إلى المغرب وقت الغروب في مصر مثلاً فان رحلته إلى الشرق حول منتصف الليل في مصر ، أي كأنه ودعها عند الغروب ثم استقبلها ثانية من الجهة الثانية قبل الشروق ، كما يظهر من حكمته

« كذلك » ، أنه وجد جهة الشرق كجهة الغرب تماماً ، وأن الشمس تتحول من قوم إلى قوم آخرين ، وأن قرني كروية الأرض الغربي والشرقي هما السدان اللذان يستران الشمس عنا قبل الشروق ويحجبانها عنا بعد الغروب ، وأن القوة العلمية التي توصل بهما ذو القرنين إلى الجهة الغربية هي القوة التي توصل بها إلى جهة الشرق ، والله جل سبحانه أعلم .

« ثم أتبع سبباً * حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولا * قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون بالأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً » (٩٢ - ٩٤) .

ويظهر من هذه الآيات الكريمة الثلاث أن ذا القرنين أتبع السبب مرة ثالثة حتى بلغ بين السدين : السد الذي يحجب الشمس عنا بعد الغروب ، والسد الشرقي الذي يسترها عنا قبل الشروق ، أي أنه وصل عند رأسيهما بالشمال ، لأنهما غير متصلين بل هما منفصلان كرأسي القرنين المتساويين في الاحديداب ، لوجود نقص في أطراف الأرض ، كما هو معلوم جغرافياً .

الأسكيمو ـ السند : ووجد من دون السدين أو من دون البيتين في دائرة احديداب الكرة « قوماً لا يكادون يفقهون قولا » ، حيث أن السكنى بين السدين مباشرة ليست في استطاعة الانسان العادي ، لأنها منطقة مغناطيسية ، ويظهر أن هؤلاء القوم هم سكان المتجمد الشمالي (الأسكيمو) ، ولقد من علي في تفسير ابن كثير من قول لسعيد بن جبير أن قوم بين السدين هم حمر قصار ، مأكلهم السمك ، ومسكنهم الغيران . ومعلوم ما في هذا الوصف من الانطباق على أهل الشمال تماماً ، ويظهر من الآية (٩٤) أن ذا القرنين استطاع التفاهم مع قوم الشمال ، ونجح بدعوتهم إلى الخير ، فقالوا له : يا صاحب الأرض الواصل إلى نهاية قرنها في الشمال ! إن خلقاً مفسدين في الأرض على مقربة منا ، وأنت جدير لما أوتيت من قوة وتمكين أن تجعل بيننا وبينهم سداً يحمينا من فسادهم ، « فهل نجعل لك خرجاً » على ذلك ؟ فأجابهم بجواب مملوء بالحكمة الخالدة ، وحسن الاداره والنظام مما لو طبق لأراح العالم من الشقاء كله : « قال ما مكني فيه ربي خير ، فأعينوني بقوة ، أجعل بينكم وبينهم ردماً ، آتوني زبر الحديد ، حتى إذا ساوى بين الصدفين ، قال انفخوا ، حتى إذا جعله ناراً ، قال آتوني أفرغ عليه قطراً » (٩٥ - ٩٦) .

التعاون الاجتماعي : وكأنه قال لهم : إن الأخطار العامة لا تدفع بالخرج وحده ، وإن المصالح العامة لا تجلب به وحده ، وقد يأتي من الأخطار العامة ما لا يكفي لدفعها كل ما في حوزة الدافع من الخرج ، وأنتم اليوم بحالتكم الدفاعية محتاجون إلى التعاون القوي الصادق بجميع إمكانيات كافة الطبقات فيكم محتاجون إلى معدن آخر أنفع من الذهب والفضة للدفاع عنكم إذا صدق التعاون ألا وهو الحديد ، كما ان العلم الذي مكنني فيه ربي هو خير الطرق والوسائل إلى العز والسؤدد بعد الايمان ، نعم إن العلم هو خير غاية ، إذ في اكتسابه ونشره الخير كله ، فالنهم في تحصيله مأجور ، والمسرف في إنفاقه اكثر أجراً ، فبثوه بينكم ، حتى تعلموا كيفية استخراج المعادن من الأرض ، وكيفية استعمالها ، حتى يشعر كل فرد بالتبعة الملقاة على عاتقه ، ليؤدي واجبه ، وهذا هو الشيء الصحيح الذي يجب عليكم ان تطبقوه في أعمالكم وتبشروا به في غيركم ، وتخلفونه لمن بعدكم ، ولا سبيل للنجاة من عدوكم إلا بالعلم بعد الايمان مع النظام التعاوني الصادق القوي الشامل ، وبذل جميع الامكانيات في سبيل الصالح العام على بينة من ربكم وعلم ، وقد فعل ما وعظ به وضرب الأسوة الحسنة ، وحمى الديار من العداة المفسدين باقامة السور ، « فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً » ، فشكر الله على توفيقه وعرف من ذلك تفضيله وقال « هذا من رحمة ربي ، فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء ، وكان وعد ربي حقاً * وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً » (٩٨ - ٩٩) .

إن اسم ذي القرنين تكرر في العالم لكل فاتح عظيم تم له فتح قرني الأرض الشرقي والغربي ، منهم الاسكندر المقدوني ، وخسرو العجم — كما قال بذلك وزير معارف الهند (أبو الكلام آزاد) — وغيرهم ، وهذا ما يدل على أن الاعتقاد بكروية الأرض قديماً جداً ويسمي القوس الذي يبرز من الشمس في بدء شروقها قرناً ، كما يسمى القوس الآخر الذي هو آخر ما يبقى منها أثناء الغروب قرناً كذلك ؛ وهنا أسطورة قديمة ، وهي أن الأرض على قرني ثور .

وإني أرى أن هذه الأسطورة كانت في بدايتها عن علم ، فتناقلتها الرواة عن غير علم ، حتى أوصلتنا لخرافة محجوجة « وما آفة الأخبار إلا رواتها » ، ولو قال قائل اليوم : إن الأرض على هيئة قرني ثور لصدقناه ، أو رسم لنا خارطة الأرض بين قرني ثور لاستطاع

ذلك ، ولو اتحد الشرق والغرب اليوم تحت راية واحدة ، لصح لنا أن نسمي من يرأس حكومتها بذي القرنين أيضاً ، وإذا كان في الصين سد عظيم ويسمى بسد ذي القرنين فيجوز أن يكون هذا السد لذي القرنين آخر من الفاتحين العظام ، أما الوارد في القرآن العظيم فهو ردم وليس بسد ، والسنة تؤيد ذلك ، وتسميته بسد ، أو الاعتقاد أنه سد ، مخالف للكتاب والسنة على ما أعتقد ، ومحتمل أن يكون ذو القرنين المذكور في القرآن هو الرجل الذي آتاه الله من لدنه علماً وقال له نبي الله موسى عليه السلام « هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت رشداً » ، لا سيما وأن قصة ذي القرنين جاءت بعد قصته مباشرة في سورة الكهف الكريمة ، والله جل سبحانه هو العلام الحكيم .

إعجاز : ولقد مرّ علي بإحدى أعداد مجلة المستمع العربي التي تصدرها محطة لندن العربية أن الكتب السماوية المتقدمة ذكرت ان يأجوج ومأجوج في الشمال ، ولا شك أن هذا الاخبار العلمي ، وهو من إعجاز القرآن العظيم ، إذ لو قال القرآن : إن يأجوج ومأجوج في الشمال لوجد الزائغ مجالا بأن يقول إن القرآن اخذ ذلك من الكتب السماوية المتقدمة ، ولكن إخباره لهذه الطريقة العلمية التي لم تكن معروفة وقت نزوله يرد كيد الزائغ في نحره ، ويزيد المؤمن إيماناً ، وتكسب الفطري المجرد من التعسف إيماناً جديداً بعظمة القرآن « ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

جنوبي الأرض : كما يظهر من عدم اتباع ذي القرنين السبب مرة رابعة إلى الجهة الرابعة وهي جهة الجنوب ، ما يدلنا على ان الجهة الجنوبية لا يمكن الوصول إليها ، أو أنها غير بارزة كبروز الجهة الشمالية ؛ على ان الجهة الجنوبية لا يزال قسم منها مجهولا لدى العلماء المختصين ، وأذكر هنا بعض الأدلة التي يرجح معها عدم بروز قسم من الجهة الجنوبية وهي :

١ — أنه حتى الآن لم يستطع احد من الأمم او فرد من الأفراد تقصير الدورة بطيران حول الأرض في الجنوب كما قصرت في الشمال .

٢ — لو كانت جهة الجنوب بارزة كالجهة الشمالية لرأينا نجوماً ثابتة في الجنوب لا تتأثر بدورة الأرض كقطب الشمال ، وإنما نرى النجوم تقصر دورتها في الشروق والغروب كلما قربت من الجنوب حتى تبقى لدينا قطعة صغيرة في الجنوب لا شروق فيها ولا غروب ولا نجوم ثابتة ايضاً ، ولعل هذا الجزء او إحدى اقسامه مخفي في فلك الأرض كاختفاء أسفل

السفينة في البحر ، ولقد جاء في سورة ياسين الكريمة : « لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون * وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » ، ولعل ذكر الليل والنهار كناية عن ذكر الأرض ، وإذا كانت الأرض تشبه السفينة ، فان اقرب نوع لها زورق بخاري طائر لا يمس فلكه إلا قسم صغير من اسفله ليساعده البروز العالي على سرعة الحركة والانطلاق ، على ان تكون سعة هذا الفلك بقدر مساحة الأرض بثلاثمئة وخمسة وستين مرة لتقطعه الأرض في سنة كاملة ، على اساس دورتها اليومية حول الشمس ، ومن البدهي ان يكون في الزورق ميلان ، والميلان في الأرض معروف جغرافياً ، ولا يستبعد ان يكون جريان الأنهار على الأرض هو نتيجة لذلك الميلان ، إذ لو كانت الأرض مضطجعة تمام الاضطجاع ، لما امكن للأنهار ان تنحدر من الشمال غالباً إلى الجهة الاستوائية ، بينما نرى الجهة الشمالية اوطأ احديداباً من الجهة الاستوائية ، ولو كانت الأرض غير مائلة لما امكن لنهر النيل ـ مثلا ـ المنحدر من شلالات مرتفعة في المنطقة الاستوائية أن يصب في البحر الأبيض المتوسط وهو شمال منبعه .

كما يؤيد اختفاء جزء يسير من زورقنا الأرضي الطائر في فلكه تكرار ذكر الرواسي للأرض بالجبال في القرآن العظيم ، على ان الشيء الذي له رواسي لا بد ان يكون له مرسى كالبحر للسفينة ، ولقد قال جل سبحانه في سورة فصلت : « وجعل فيها رواسي من فوقها » والشيء الذي له فوق له تحت أيضاً ، على انه لو كانت الأرض مجرد جرم في الفضاء دون فلك ومرسى وفوقه وتحته بالنسبة للكرة السماوية سواء ، فأين إذاً يكون اعلى عليين ، واين اسفل سافلين المتكرر ذكرهما في القرآن العظيم ، واكتشاف بابسه في إحدى جهتي المتجمد الجنوبي ، يؤيد أن الطرف المخفي هو قسم صغير كما تقدم .

* * *

هذه أمور فكرت فيها فرأيت إثباتها هنا ليقول فيها العلماء كلمتهم ، مع انه يكفي ان يبرر عدم رحلة ذي القرنين مرة رابعة كداعية إلى الجنوب عدم وجود سكان هناك ، والله جل سبحانه هو العلام العظيم والخلاق الحكيم الذي وهبنا كبشر اعظم منحة ألا وهي العقل والتفكير وتكرم علينا بأعظم نعمه رسولا كريماً وكتاباً عظيماً ، فيه علوم الأولين والآخرين ومما جاء كذلك « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » ومما قال

أين مصاحف عثمان سابقاً والآن ؟ *

للأستاذ الشيخ راغب الطباخ

قال الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن (ص ٤٧) : وأما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله .

وقد كان قديماً بمدينة طبرية ، ثم نقل منها إلى دمشق في حدود ثماني عشرة وخمسمئة ، وقد رأيته كتاباً عزيزاً جليلا عظيما ضخما ، بخط حسن بيّن ، قوي الحبر محكم ، في رقّ اظنه من جلود الابل والله اعلم .

فأما عثمان رضي الله عنه فما نعرف انه كتب بخطه هذه المصاحف ، وإنما كتبها زيد ابن ثابت وغيره ، فنسبت إلى عثمان لأنها بأمره وإشارته ثم قرئت على الصحابة بين يدي عثمان ، رضي الله عنه ، ثم نفذت إلى الآفاق . والحافظ ابن كثير كانت وفاته سنة ٧٧٤ . وفي رسالة مسجد دمشق (ص ٢٦) : قال ابن جبير في رحلته (ص ٢٤٨) : وفي الركن الشرقي من المقصورة الحديثة في المحراب خزانة كبيرة فيها مصحف عثمان ، وهو المصحف الذي وجه به إلى الشام وتفتح الخزانة كل يوم إثر الصلاة فيتبرك الناس به .

سبحانه : « يا معشر الجن والانس إن استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان » ، وما اكثر الآيات التي تحث على التفكير والتبصر والتدبر والوعي في كتاب الله دون تعطيل او تكلف بتأويل ، ولكنه للحجة البالغة والنعمة الكاملة . والسلام على من رأى نور الحق فتجلاه وعرف واجبه فأداه .

الكويت : عبد العزيز العلي

* ننقل هذا البحث الطريف ـ الذي يتساءل عنه كثيرون ـ عن كتاب الثقافة الاسلامية للمرحوم العلامة الطباخ .